التقديس والتطهير،

عمل الروحِ القدس الدائم

في النفس والجسد

دكتور

جورجِ حبيب بباوي

٢٠١٧

www.coptology.org

هل أصبح عمل الروح القدس في النفس والجسد، موضوعاً غائباً؟

حســب تســليم الكنيســة، نطلب من محب البشــر أن "لا يقوى علينا موت الخطية". وفي قداســنا الكيرلســي، نطلب: "طهِّر إنســاننا الداخل ⲉⲧⲥⲁϧⲟⲩⲛ كَطُهرِ ابنك الوحيد هذا الذي نضـــمرُ أن نأخذه ..". والطُّهر والطهارة هي ترجمة قبطية لكلمة "تقديس"، ومقارنة الكلمة والفعل في القداسات الثلاثة تؤكد لنا ذلك:

– ففي تقديم الخبز والخمر، نقول: قدِّسهما Ⲁϥⲉⲣⲁⲅⲓⲁⲍⲓⲛ

– وفي استدعاء الروح القدس على القرابين، نقول: يطهرها Ⲛⲧⲉϥⲧⲟⲩⲃⲱⲟⲩ

ونحن هنا إزاء أحد أركان العهد الجديد الذي يقدم لنا شركة في قداسة الله؛ لأننا نؤدب من "أجل المنفعة لكي نشـترك في قداســته" (عب ١٢: ١٠)، وهي القداســة التي وهبَت لنا في المســـيح يســـوع عندما قدَّم ذاته ذبيحةً وقرباناً؛ لأننا "بهذه الإرادة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرةً واحدةً" (عب ١٠: ١٠)

وهنا نذكر بالفضـل أسـتاذنا الراحل الكريم يسى عبد المسيح، فقد كان هذا هو أول درس سمعته منه.

لقد جاء التقديس بالاتحاد بالرب يســـوع، وهو اتحادٌ ننمو فيه، ولا يمكن أن تقوى عليه الخطية؛ لأن شـوكة الموت نُزعت من الخطية: "أما شـوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الشـريعة (الناموس)" (١كو ١٥: ٥٦). وهو ما نردد صـداه ونؤكد عليه في القداس الباسـيلي: "والموت الذي دخل إلى العالم بحسـد إبليس، هدمته بالظهور المحيي الذي لابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح".

إذن، لا يمكن للخطية أن تبني مرةً ثانيةً ما هدمه الرب، ليس فقط لأن الرب أقوى، بل لأن: "النعمة قد ازدادت لكثيرين" (رو ٥: ١٥)، ولأن "**النعمة تملك** بالبر للحياة الأبدية بيسوع المسيح ربنا" (رو ٥: ٢١)، ولأن مُلك المسيح لا يمكن أن ينقض؛ لأننا "مُتَّحدين معه بشبه موته"، ولذلك "نصير بقيامته" (رو ٦: ٥).

الشك في التقديس بسبب انتشار فكرة الانفصال عن الله:

ذاعت فكرة الانفصـــال عن الله تحت تأثير الأفلاطونية المحدَثة، وكانت إحدى ركائز مدارس الغنوسية التي نشرت التعليم الشيطاني بأن الجسد من صُنع إله الشر، وأنه هو، أي الجسد، سبب انفصال الإنسان عن الله. ودخلت هذه الفكرة في التعليم الإنجيلي (البروتستانتي) أيضاً في القرن الثامن عشر، ومن هنا جاء الرسم المشهور الذي يصوِّر الله واقفاً على رأس هوة بعيدة تفصل بينه وبين الإنسان، إلى أن جاء المسيح ووضع نفسه فوق الهوة لكي يعبر الإنسان من فوقه إلى الله.

ضد هذه الفكرة، وضد كل تصوُّرٍ آخر عن الانفصال، تقف كلمات الإنجيل: "كل شيء به كان"، وليس هذا عن الماضي فقط، بل: "فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس". ولم يقف الرسول عند هذه الحقيقة، بل "والنور يضيء في الظلمة" (يوحنا ١: ٢-٣). ولا يجب أن يقود الفعل "كان" و"كانت" إلى تصوُّر أن هذا هو الماضي السابق على سقوط آدم؛ لأن الحقيقة المعاشة هي:

"فإنه فيه خُلق الكل ما في السـموات وما على الأرض .. الكل به وله قد خُلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم (قوام) الكل" (كولوسي ١: ١٦-١٧).

وكلمة "يقوم" في هذا النص تعني "يبقى في الوجود"، ولذلك كتب الرسول بما لا يدع مجالاً للشك أو الجدل أن الرب هو "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته" (عب ١: ٣). فكل ما هو كائن، إنما هو كائن بقدرة الابن الكلمة، ولو كان انفصل، لَعاد إلى الفناء.

وعندما سقط آدم وسمع الحكم: "موتاً تموت"، لم يرجع آدم إلى العدم الذي خُلق منه، بل أبقت عليه رحمة الله وصلاحه، وهو ما شرحه القديس أثناسيوس الرسولي بكفاية في تجسد الكلمة في الفصول الستة الأولى.

إذن، الانفصال عن الله خالقنا تعليمٌ خطير، تظهر خطورته في أنه لا يأخذ بعين الإعتبار مطلقاً أن الخليقة لا وجود لها بدون الصلاح والرحمة. وهو ما يظهر في أن الخطية، رغم أنها جرحٌ مميت، طرد الإنسان من جنة عدن، إلا أن الإنسان استمر عائشاً بعد ذلك. وجاء شيث، وأخنوخ وإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وسلسلة طويلة من القضاة، والأنبياء، والملوك، لكي يؤكد الله أن هؤلاء كانوا على شركة بالله، وما علينا إلا أن نقرأ سفر المزامير بدقة للتأكيد على ذلك.

وقد جاء التعليم اليوناني الكلاسيكي بموت الجسد وخلود الروح، وهو تعليم ينكر صراحةً أن هبة الله هي الحياة الأبدية التي لا تُوهَب إذا كان الإنسان أو حتى روح الإنسان خالدة بالطبيعة.

فعندما ضرب الموتُ الإنسان، ضَرَبَ كل ما فيه: الروح والجسد. ولكن، إذ ظل الإنسان موجوداً، فهذا سببه الرحمة الإلهية، لا قدرات في الطبيعة الإنسانية.

وعندما نتكلم عن فداء الإنسان وتحريره من الموت، فنحن نعني أن ذلك تم بعمل إلهي كامل للرب يسوع، تم فيه تجديد الروح والجسد، وإن الروح أُنقذت من الموت الروحي (الذي لا نتحدث عنه إلا قليلاً)، وإن نهاية وكمال تحرير الإنسان هو بقيامة الجسد في اليوم الأخير كما قال معلمنا القديس بولس في (رو ٨: ٢٣) "نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا".

النعمة أبدية وغير قابلة للزوال:

لا يوجد ضرر أكبر من ضرر الغموض، فهو صنو العمومية. وقد عانى الإنجيل

كبشارة حياة، من الغموض الذي اكتنف شرح كلمات ومصطلحات هامة ابتُذِلَت في التعليم الشعبي مثل: تقديس وقداسة – جوهر وأقنوم – فداء وكفارة – تجديد وغفران – حكم ودينونة. وحاول -عزيزي القارئ- أن تبحث عن كلمة "عقاب" ابتداء من سفر التكوين حتى سفر الرؤيا، وسوف تجد مفاجأة سارة في انتظارك، وهي أن كلمة "عقوبة" لم ترد ولا حتى في سفر التكوين، بل تم استخدام الكلمة فيما ساد من شروح مختلفة.

والغموض الذي اكتنف شرح كل هذه الكلمات، شمل أيضاً "النعمة"، وإن كنا نشير إلى أنه صدرت عندنا دراسة واحدة عن النعمة، وهي رسالة دكتوراة للأستاذ وهيب قزمان: النعمة عند القديس أثناسيوس، ومقالة جيدة جداً للبار أبينا القمص متى المسكين بعنوان "النعمة في العقيدة وفي الحياة النسكية"، وتوقف البحث.

النعمة هي المسيح نفسه:

النعمةُ ليست مجرد عمل خارجي قام به الرب، بل **هي الابن نفسه** حسب عبارة رسول الرب: "أنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح، أنه من أجلكم أفتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره" (٢كو ٨: ٩). وهذه هي حقيقة تجسد ابن الله الذي "كان في صورة الله"، ولكنه افتقر، أي "أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً في شبه البشر" (فيلبي ٢: ٦). افتقر عندما وَضَعَ، وهو الغني، ذاته للموت؛ لكي بتواضع الرب، ننال نحن غنى قيامته. ولذلك، فالبركة الرسولية هي: "نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم" (٢كو ١٣: ١٤).

نعمة البنوة

ومع الرب وتجسده، جاءت "نعمة البنوة" (راجع قسمة عيد الغطاس: إذ أعطيتنا نعمة البنوة بحميم الميلاد الجديد وتجديد الروح القدس). وهذه النعمة هي التي تجعلنا كما نقول في قسمة الخماسين: "نضيء بشكلك المحيي" والشكل ⲥⲭⲏⲙⲁ هو الأيقونة أو

الصـــورة التي نالت نعمة الحياة في المســـيح يســـوع؛ لأنه "أنعم علينا بالعتق من العبودية" (صـلاة قسـمة للآب). وأضـاء ظلمة النفس بالمعرفة التي أنعم بها علينا؛ لأنه أعطانا "علم معرفتك" أيها الآب. وأشرق "كنور حقيقي للضالين وغير العارفين".

وفي نهاية القداس الإلهي، وبعد أن ندخل أعماق التدبير، وفي صـلاة سـرية يقول الكاهن: "كمُلَت نِعَمُ شفقةِ ابنك الوحيد" حسب الأصل القبطي ⲛⲓϩⲙⲟⲧ ⲛⲧⲉ ϯⲙⲉⲧⲣⲉϥⲉⲣⲡⲉⲑⲛⲁⲛⲉϥ لأن كلمة "إحســـان" غريبة تماماً عن الإنجيل، وعن مُحب البشـر "الخبز الحقيقي الذي نزل من السـماء واهب الحياة لمن يتناوله". المسـيح ربُّ المجد مملوء نعمةً (يوحنا ١: ١٤)، ومنه قَبِلنا النعمة والسـلام (رو ١: ٥ — ١: ٧). هو "الذي به أعطانا نعمةً بغنى فائق" (أفسس ٣: ٧).

الأهم هي "نعمة الحياة" (١بطرس ٣: ٧). وفي هـذه النعمة، نحن نلنا الخلاص من الموت؛ لأن حياة المســـيح هي النعمة التي تملك (رو ٥: ٢١)، وهي لا تملك ملكاً مؤقتاً، بل أبدياً (رو ٥: ٢١). ولذلك، يوبخ رســـول الرب كل مَن يجادِل: هل النعمة مخلوقة أم غير مخلوقة؟

لأن القول بأنها مخلوقة، أريوسية صريحة؛ إذ يصرخ رسول الرب: "إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه (لذاته) حسب مسرة مشيئته لمدح غنى نعمته التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أفسس ١: ٤-٧). هذا سابقٌ على خلق العالم؛ لأن الآب اختارنا في الابن قبل خلق العالم (أفسس ١: ٤).

أبدية النعمة:

بحســب التعليم الذي يروجه بعض الإكليروس في الكنيســة القبطية، جرى تمزيق العمل الإلهي الواحد حســب تنوع الألفاظ، حتى صــار اللفظ خطاً لاهوتياً منفصــلاً لا علاقة له بالآخر. وهكذا جرى التأكيد على أن "هبة" و"عطية" و"موهبة"، هي أعمال متنوعة لا تمت بصــلة للروح القدس، أو بالابن ربنا يســوع. وأُضــيف إلى ذلك الكلمة

الرابعة: "نعمة". كأن عمل الثالوث فينا هو مثل بضاعة، تنقطع الصلة بالبائع بعد الشراء. وهكذا جرى فصل الطاقة والقوة عن الروح القدس الواهب، بل تجاسر أحد الإكليروس (مطران دمياط) على أن يصف الحياة الأبدية نفسها بأنها "حياة مخلوقة"، دون أن يدري أن المخلوق والأبدي، هما على طرفي نقيض، لا يمكن أن يجتمعا. وقد بنى هذا المطران جسارته على أن الأبدي بلا بدء، وأن الأبدية تُعطى في الزمان، وما دامت تعطى في الزمان، فهي مخلوقة!!! بالتأكيد لا يعرف هذا المطران أن البدء الجديد هو الرب نفسه، وأن البداية في الزمان خاصة بآدم الأول. وأن البدء الجديد له بداية حسب الناسوت في الزمان في بيت لحم، ولكن له بداية سابقة على خلق العالم في ذلك الذي "كان في البدء" (يوحنا ١: ١-٣)، والذي "فيه خُلق الكل ما يُرى وما لا يُرى" (كولوسي ٢: ١٥). وأنه لو كان للحياة الأبدية بدء في الزمان كما يُظن، فهذا زمان الاستعلان لا البدء الذي فيه كُوِّنت أو خُلقِت (بحسب اعتقاده). والإدعاء بأن الحياة الأبدية مخلوقة، هو قولٌ أريوسيٌّ محض، يجب أن يُحاكم عليه، أو على الأقل يعود عن جهله.

عندما كتب رسول الرب: "هبة الله فهي حياة أبدية في المسيح يسوع ربنا" (رو ٦: ٢٣)، فالرسول يعرف أن المسيح الإله الأبدي "الكائن على الكل" (رو ٩: ٥)، لا يعطي هبةً زمانيةً مخلوقةً، وأن هذه الهبة هي حياته هو: "أنا هو الطريق والحق والحياة"، بل "أنا هو القيامة". ورغم أن القيامة تمَّت في زمان التدبير، لكنها تعود إلى أُلوهية شخص الحي إلى الأبد حتى قبل أن "يذوق الموت بالجسد"؛ لأن إشراق الحياة الغالبة الموت كان هو ذات إشراق ونور الخلود: "الذي أنار الحياة والخلود بالإنجيل" (٢تيمو ٢: ١٠). وهو إشراق القوة والنعمة التي توهَب لنا لنقوم نحن أنفسنا لقيامةٍ بلا موت، وهو ما هو متعذِّرٌ على أي طبيعة مخلوقة.

حياة أبدية تنكشف فيها معرفة الله:

كانت المرايا في زمن الرسول تصنع من المعدن المصقول، ولذلك كانت الرؤيا فيها غير واضحة، ولذلك كتب "نحن نرى كما في مرآة، ولكننا سوف نرى كل شيء،

ليس في مرآة، بل "بوجهٍ مكشـــوف"، وذلك بعكس الوجه الذي غطَّاه موســـى بالبرقع، وبذلك نتحول إلى ذات صورة المسيح، "من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو ٣: ١٧-١٨).

سلسلة الانفصال:

عندما سادت المعرفة السطحية غير المتأصلة في الحياة الليتورجيا، ولا في التسليم الكنســـي، بدأت ســـلســـلة الانفصـــال تمارس دورها الهدام في ثقافة شـــعبية لها ملامح المسيحية، ولكنها في حقيقة الأمر تدمِّر المسيحية الأرثوذكسية من الداخل:

١- انفصال الإفخارستيا عن أقنوم الله الكلمة؛ إذ صار التناول هو جسد الرب فقط.

٢- انفصال الروح القدس عن الطاقة والقوة والنعمة؛ إذ صار الروح القدس الرب المحيي مثل ضيف يقدِّم شيئاً ثم يرحل.

٣- انفصـال الرأس المسـيح ربنا عن الجسـد، أي الكنيسـة. وصـار للرب ثلاثة أجساد، والهدف الخفي غير المعلن جهاراً هو الحرب على الشركة في الحياة الإلهية.

٤- انفصـال الابن عن الآب؛ لأنه صـار موضـع غضـب الآب، وأنه جاء لكي يدفع الثمن. واخترع أصـحاب مدرسـة الانفصـال نظرية "البديل العقابي"، وبالرغم من أن العقوبة تعني عدم الغفران، لم يسأل هؤلاء كيف استطاعت العقوبة أن تثمر الغفران.

ماذا أفسدت سلسلة الانفصال؟

جاءت سـلسـلة الفصـل هذه بنقل الإنسـان تماماً بعيداً عن اسـتعلان الله لأنها أنكرت شركتنا الحقيقية فيما يقدمه الثالوث لنا:

١- الآب رضى عن الإنسانية لأنه صبَّ غضبه على الابن، فصار الفداء هو فداء الله الآب من الغضب.

٢- سقطت وساطة الابن المتجسد؛ لأن أُلوهيته أُبعدت حتى عن سر الإفخارستيا. إذ صار تناول الناسوت دون اللاهوت ليس فقط هو أشر ما جاء في هرطقة نسطور، بل ضاع علينا كهنوت الرب نفسه، رئيس الكهنة إلى الأبد الذي به ندخل إلى حضرة الآب لنجد الفداء والغفران (وهو مجمل رسالة العبرانيين).

٣- لم يعد للروح القدس أي عمل في الكنيسة، فهو يوزِّع مواهب وعطايا، كلها زمانية مثل النبوة التي سوف تُبطل (١كو ١٣: ٨). وطرد الشياطين .. الخ. أما هو نفسه، أي الأقنوم، فليس له أي حضور حقيقي، وحتى بعد الاستدعاء، يذهب ويترك المواهب مهما كان نوعها، وبالتالي يصبح "هيكل الله" بلا إله. وهذا خطيرٌ جداً لأننا لسنا إزاء استعلان إلهي نشترك فيه حقاً، بل نحن أمام مسرحية نراها ونعود بعد مشاهدتها إلى الذاكرة أو القراءة دون أن نكون قد أخذنا نعمة حقيقية.

كيف أفرغ الاستعداد الجسدي سري المعمودية والميرون من معناهما؟

هذه هي صورة تقوى مزيَّفة: بالملابس النظيفة، والاستحمام بالماء، تنال رضى الله وتعبِّر عن مهابة السر!!! ينسون أن الله قديماً رفض كل مظاهر الانسحاق، ووضْع الرماد، وشق الملابس؛ لأنها لا تعبِّر عن توبة، أي عودة حقيقية لقلب الإنسان، بل رَفَضَ حتى الذبائح نفسها .. "لماذا لي كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش .. ما أسر به. حينما تأتون لتظهروا أمامي. مَن طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دوري. لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي، رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف" (أش ١: ١١-١٤). بل يصرخ أرميا: "محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لي" (٦: ٢٠). ولذلك "أصلحوا طرقكم وأعمالكم .. لا تتكلوا

على كلام الكذب .. على كلام الكذب الذي لا ينفع. أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً .. ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت .. هل صار هذا البيت الذي دُعي باسمي عليه مغارة لصوص في أعينكم" (أرميا ٧: ٨-١١).

تُرى متى تُرفع الكراهية والأحقاد والاتهامات الكاذبة وأولها الإتهام بالهرطقة أو الإلحاد وحشد كل أنواع الكذب؟

هل ينفع الاستحمامُ القلبَ المشحون بالغيظ الناطق بالكذب؟ هل توجد قيمة لدى الله في الحرص الزائف على مهابة السر، بينما يدبِّر القلبُ المكائد، ويدفع الأموال، ويحرِّض على شباب الكنيسة، بل على قداسة البابا تواضروس؟

هل تنفع نظافة الجسد، نيافة المطران المحرِّض الأول على عودة الممارسات اليهودية، والذي لا يؤمن بأن اتحاد اللاهوت بالناسوت في الابن المتجسد قد نقل للإنسان المؤمن التحول العظيم والأخير الذي يتم في سري المعمودية والميرون، فيصير الجسد الذي يغطس في مياه المعمودية ويُمسَح بـ ٣٦ رشماً بالميرون، يحتاج إلى نظافة بعد أن قُدِّس؟

لقد كان الإنسان تحت حكم الموت والفساد، وتقدس بالابن في الروح القدس، فهل بعد ذلك يحتاج إلى مهابةٍ تقدَّم إلى الله غير أن يظل في التقديس، ولا يعبر من التقديس إلى العداوة، ويصبح خادماً للشر، وبوقاً للشر؟

آخر معاقل الأريوسية والنسطورية:

سد قانون الإيمان الطريق أمام الأريوسية، فلم تقدر أن تتسلل إلى ليتورجية الكنيسة الجامعة. ولكن مزجَ اللاهوت بثقافة عصر الإقطاع والقيم الحضارية التي تتمثل في أن الاعتداء على الأمير ليس مثل الاعتداء على واحد من عامة الشعب، وتطبيق ذلك على الله نفسه باعتبار أن عدم طاعة الشريعة هي اعتداء على كرامة الله، لا تدمير

للإنسان نفسه، وهو الأمر الذي يجعل تقديم ترضية إلى الله، ضرورة لكي يسكن غضب الله، سمَحَ هذا المزج للأريوسية بأن تقدِّم **فكراً لاهوتياً لا علاقة له بالتسليم الكنسي، ولا بأي ممارسة ليتورجية، مؤداه أن يكون الابن هو من يقدِّم الثمن والترضية لله الآب، بل ويصير هو نفسه هذا الثمن.**

وكما سد قانون الإيمان الطريق أمام الأريوسية، سدَّت تراتيل القرن الخامس الباب أمام النسطورية. كذلك صار توسُّع الآباء في شرح سر الإفخارستيا، صخرة تأكيد اتحاد اللاهوت بالناسوت؛ لأننا نتناول "الجسد المحيي"، ونشترك في حياة الرب نفسه.

لكن من عجائب الأمور أن كل الذين توسعوا في شرح ما ساد في الفكر الشعبي الإنجيلي بالذات، باسم عقيدة الكفارة والفداء، وساروا في طريق أبطال هذا الفكر مثل: عوض سمعان – ابراهيم سعيد – كتاب علم اللاهوت النظري – تفاسير وليم أدي – تفاسير سبرجن – إصدارات جمعية خلاص النفوس – إصدارات كنيسة الأخوة، ثم محاضرات اللاهوت النظري لأوجين دي بليسي – عقيدة الكفارة والفداء لنيافة الأنبا بيشوي، هؤلاء أصبحوا -عند البعض وعن غير حق- هم الآباء الحقيقيون، وليس أثناسيوس أو كيرلس أو ذهبي الفم!!!

كيف عادت النسطورية مع البدلية العقابية؟

أولاً: لأنها لا تؤكد أن الذي عُلِّق على خشبة الصليب هو الإله المتجسد، وأنه هو الذي قتل الموت بالصليب، وبسبب الاتحاد، أي اتحاد أُلوهة الابن بالناسوت.

ثانياً: لأنها عادت تقول بعدم فاعلية الأسرار الثلاثة: المعمودية والميرون والإفخارستيا. فالأولى لا تعطي تقديساً، والثاني لا يعطي حلولاً للروح القدس، والثالث، أي الإفخارستيا هو مجرد شركة في الناسوت فقط؛ لأن الشركة في اللاهوت -حسب زعم هؤلاء فقط- تجعل الذي يشترك إلهاً مثل الله، وكأن الله فريسة قابلة للافتراس، وبلا إرادة ينال كل مَن يهجم عليه ما يريد (وهو تصور يكشف عن خلل نفسي ومرض عقلي عند

هؤلاء)، وهو ما يجعل الشركة ليست شركة حرية ومحبة، بل هجوم واقتحام وسيادة وقهر.

أخيراً: ظهرت مفاسد التعليم المزيف وظهرت دائرة الموت التي تحيط به وبكل من يدخلها، فهو بلا شركة، بلا تأله أي بلا خلود، بلا بنوة، ولا ينال إلا مواهب، ولا يأخذ إلا ناسوت الرب وحده!!!

رسالة اعتذار وناقوس خطر:

وما رسالة الاعتذار عن عدم التقديس أو الاشتراك في القداس الإلهي التي قدمها أحد الكهنة على الملأ، بتاريخ ٢٠١٧/٦/١٧، على صفحته على موقع الفيسبوك، لقداسة البابا تواضروس وكل أحبار المجمع المقدس، إلى أن يتم تصليح الأوضاع (بحسب تعبيره)، باعتبار أن قرارات أو توصيات اللجنة الطبية بالمجمع في دورته الأخيرة خرقت الاستعداد الجسدي (الذي أمر به رب العالمين في لا ١٢، لا ١٥)، أقول ما رسالة الاعتذار هذه إلا الثمرة الناضجة والطبيعية لسيادة التعليم الذي ينكر عمل الروح القدس في حياة الكنيسة، وحصار هذا العمل في الحلول المواهبي، وبذلك تكون هذه الرسالة قد كشفت عن مفاسد هذا التعليم المزيف الذي ساد على مدى أكثر من أربعين عاماً مضت. وهي رسالة تحتاج من الكنيسة إلى دراسة متأنية لكي تدرك مدى الانحدار الذي حدث، ليس فقط في التعليم، بل وفي التزييف المتعمد في تسليم وديعة الإيمان والتسليم الرسولي إلى الحد الذي لم يؤدي فقط إلى الجهل بالفرق بين العهد القديم والجديد، بل ووصل إلى استخدام عبارات تعتبر خارج سياق التعبير المسيحي من قبيل: "الذي أمر به رب العالمين"، و"حتى يفهم الناس أن التناول ..."، "أحمل وزر نفسي فقط بدلا أن أتحمل أوزار من أناولهم"، وهي تعبيرات تفصح عن مدى البعد عن لغة الإنجيل والليتورجيا. وبالتالي فهذه الرسالة بمثابة جرس الإنذار الذي يجب أن نلتفت إليه بشدة ونأخذه بمحمل الجد، واتخاذ القرارات اللازمة لوضع الكنيسة القبطية على المسار الصحيح وإعادة ترتيب الأوضاع بما يضمن سلامة التعليم وتصحيح أخطاء الماضي. هي رسالة تعبِّر عما يمكن أن نصل إليه من نتائج عملية لإنكار اتحاد اللاهوت بالناسوت اتحاداً

أبدياً، وبالتالي العودة إلى شريعة موسى.

فقد يندهش القارئ من الاستشهاد بأسفار العهد القديم مثل أسفار اللاويين والتثنية في هكذا أمور، وهو لا يدري أن هذه الأسفار لا تُقرأ في اجتماع الكنيسة، أي في الليتورجيا أو القداس، وأن الفصول القليلة التي تُقرأ في الصوم الكبير وأسبوع الآلام من أسفار العهد القديم تهدف إلى تقديم الرمز، أي العهد القديم الذي أشار إلى سر المسيح؛ لأن هذه الفصول كانت قد رُتِّبَت عند قبول الموعوظين، ولكن العهد القديم لا يُقرأ برمته، فهو ليس كتاباً يُقرأ في القداسات، بل يُقرأ للتعليم فقط.

ولذلك، علينا أن نلتفت بانتباه شديد إلى ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين عن:

١- تغيير الكهنوت الذي اقتضى تغيير الشريعة (عب ٧: ١٢).

٢- العهد الأفضل ليسوع (عب ٧: ٢٢)، وهو الذي جاء بكهنوت جديد، ليس من سبط لاوي "كهنوت لا يزول" (عب ٧: ٢٤)، نال قوته من قيامة الرب (عب ٧: ٢٤ - ٢٥).

٣- أُعطيت لنا خدمة المسيح يسوع، وهي بالتحديد: خدمة أفضل – لوسيطٍ أعظم – مواعيد أفضل (عب ٨: ٦).

٤- عندما جاء العهد الجديد، صار العهد الأول قديماً، وبكلمات راسخة رسوخ الابن نفسه: "أما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال" (عب ٨: ١٣).

٥- التطهير الداخلي لا يمكن أن يتم حسب طقوس شريعة موسى؛ لأن كل هذه كما قال الرسول: "أطعمة وأشربة وغسلات مختلفة وفرائض جسدية فقط كوضوعة لوقت الإصلاح" (عب ٩: ١٠).

٦- لقد نلنا الفداء الأبدي في المسيح (عب ٩: ١٢)، وهو وحده الذي يطهر

الضمائر من كل النجاسات والأعمال الميتة لكي نخدم الله الحي (عب ٩: ٢٤).

٧- وأخيراً، لقد أكمل الرب يسوع كل ما يخص شركة الإنسان في الله بقربان واحد، وبكل قوة العمل الإلهي يقول رسول الرب: "بقربان واحد أكمل المقدسين إلى الأبد" (عب ١٠: ١٣)، بل كما يقول الرسول: "أيها الأخوة لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرَّسه لنا جديداً حيَّاً، أي بالحجاب، أي جسده" (عب ١٠: ١٩)، وهو ما نردده في صلاة قسمة سبت الفرح: "يا يسوع ذو الاسم المخلص ..."، فقد كان الحجاب هو الذي يفصل القدس عن قدس الأقداس، ولذلك انشق عندما صُلِب الرب لأن الفواصل انتهت.

ليت الذين يفتشون عما في ضمائر وقلوب الناس، يدركون أن ذلك نوعٌ من اللصوصية الغريبة على المسيحية الأرثوذكسية والاستهانة بحرية أولاد الله، فيكفُّون عن الشغب؛ لأن الثالوث القدوس لم يمنحنا أن نكون "مفتشين"، بل "خُدام". وأيقونة العشاء الرباني في العلية بمثابة توبيخ لكل من تسول له نفسه التلصص على قلوب وضمائر أعضاء جسد الرب؛ لأن التلاميذ كانوا في حيرة وشك وخوف، ومع ذلك كسر لهم الرب جسده. وكان بينهم بطرس الذي قال له الرب إنه سوف ينكره، ومع ذلك أعطاه نصيبه من الجسد والدم. وكان بينهم يهوذا وكان الرب يعلم أنه سوف يسلِّمه، ومع ذلك غسل قدميه وأعطاه سر الشركة حسب التسليم الكنسي، الذي وُضِعَ تحت مطرقة الإنكار في زماننا، حتى أدى الأمر إلى حذف عظة ذهبي الفم التي تقرأ في خميس العهد والتي يؤكد فيها ذهبي الفم على صحة هذا التسليم الرسولي. هذا الزمان الذي تحول فيه "الخادم" إلى "مدعٍ عام"، و"مفتش" في ضمائر الشعب، آخذاً مكان الله جاعلاً من نفسه ديَّاناً، لا الراعي الصالح الذي يبذل نفسه عن الخراف.

د. جورج حبيب بباوي